

أحاديث رمضان ٤٢٧هـ - صلاح الأمة في علو الهمة - الدرس (٦٠-٥٨) : تنمية الأدب - الأدب مع الله ورسوله والمؤمنين والوالدين والأقارب

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-١١-١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

أقسام الأدب:

مع درس جديد من دروس صلاح الأمة في علو الهمة، ولا زلنا في موضوع الأدب، الأدب مع الله، والأدب مع رسول الله، والأدب مع المؤمنين، ومع الوالدين، ومع الأقارب.

الأدب مع الله:

الأدب مع الله أنواع ثلاثة:

- أن تصون معاشرتك من أن يشوبها شائبة في علاقتك مع الله.
- وأن تصون قلبك من أن تلتفت لغير الله.
- وأن تصون إرادتك من أن تتوجه لغير الله القلب ينبغي أن يحب الله، والإرادة التوجة إلى الله، والمعاملة أن تكون وفق منهج الله.
- ومَنْ صَاحِبَ الْمُلُوكَ بِغَيْرِ أَدْبَرِ أَسْلَمَهُ الْجَهَلَ إِلَى الْقَتْلِ.

إن امرأة وحيدة طلقها النبي، قال لها ضراتها: إذا دخل عليك النبي فولي له: أَعُوذ بالله منك، فقال: الحقي بأهلك.

الإنسان أحيانا بكلمة يخسر حياته، بكلمة يخسر شيئاً ثميناً.

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاء الشجعان
وإذا ترك المؤمن أدبه مع ربه فقد هلك مع الهالكين.
أحيانا باعتراض، وأحيانا بكلمات لا تليق بذات الله عز وجل.

من أساء الأدب على البساط رد إلى الباب، ومن تأدب بأدب الله صار من أهل محبة الله، وتعلمون أنه ما من إنسان تأدب مع الله كرسول الله، وقد ورد عنه، والحديث في كلام بسنده

((أدبني ربي فأحسن تأدبي))

[أخرجه ابن السمعاني عن ابن مسعود]

والمؤمن يتأنب بأدب الإسلام، المؤمن عنده حياء، عنده خجل، لسانه نظيف يده نظيفة، جوارحه منضبطة.

سئل الحسن البصري عن أفعى أدب مع الله فقال: "التفقه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بما
لله عليك".

لا تسألنَ بُنْيَ آدم حاجةٍ
وسلِّ الذِّي أبواهُ لَا تُحَجِّبَ
الله يغضُّبُ إِن سأَلْتَ سُؤَالَهُ وَبُنْيَ آدم حِينَما يُسَأَلُ يُغَضِّبُ

الأدب مع الله أن تسأله هو.

ردخل خليفة المسلمين هارون الرشيد إلى الحرم المكي، فالتقى بعالم جليل، قال له: "سلني حاجتك"،
قال له: والله إن أستحي أن أسألك في بيت الله غير الله، التقاه خارج المسجد، قال له: هنا سلني
حاجتك، قال له: والله ما سألتها من يملكها، أفسألها من لا يملكها؟ قال له: ما حاجتك؟ قال له:
دخول الجنة والنجاة من النار، قال له: هذه ليست عندي، قال له: إذاً ليس لي عندك
(إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا)

تذوب نفسه، الله يعلم أنك أنت صابر، الله يعلم حجم المشكلة، وقوتها، يعلم قوة العقبات،
والصوارف، يعلم الضائقـة المادية التي تعاني منها، وإذا سألك سائل وأعطيته يعلم ذلك.
(وَالله يُقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

(سورة المزمول الآية: ٢٠)

حاجة".

والله أحياناً أقرأ آية عن سيدنا أليوب:

(إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا)

(سورة ص الآية: ٤٤)

إنه إنسان ساق الله له مصيبة، قال له: يا رب، لك الحمد، أنا صابر، وما شكا إلى أحد.
ويعب من يشكـو الرحيم إلى الذي لا يرحم
علمه بحالـي يغـني عن سؤـالي
هـناك أشخاصـ عنـدهم صـبر وجـلد، أما إذا قـرأ قولهـ تعالى: قـسـ عليهـ كلـ شيءـ.
قيلـ: "الـعـبد يـصلـ بـطـاعـة اللهـ إـلـى الـجـنـةـ، ويـصلـ بـأـدـبـهـ إـلـى طـاعـتـهـ".

اداب أهل الدنيا كلام وشعر:

الآن آداب أهل الدنيا، يقول لك: فلان معه لصنص بالأداب، معه أدب عربي قال: آداب أهل الدنيا الفصاحة والبلاغة.

المتنبي كان من أبلغ الشعراء، قال:
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبه وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها ويسيئر الخلق جراها ويختص
الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وكان في طريقه من البصرة إلى حلب تبعه أحد أعدائه فولى هارباً، فقال له غلامه: ألم تقل:
الخيل والليل والبيداء تعرفني
قال له: قتلتني قتلك الله، وعاد فقتل.
الشعراء يتبعهم الغاوون، أدب أهل الدنيا الفصاحة والبلاغة.

بلاني الدهر بالأرzaء حتى فؤادي في خشاء من نبال
فكنت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال

والهذا كلام جميل، الشعر جميل.
أصابت المتنبي الحمى فقال لها:
أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من ازدحام
شاعر آخر يبدو أنه سمع غناء مغنٌّ فخرج من جلده من رداءة صوته، فقال:
عواء كلب على أوتار مندفة في قبح قرد وفي استكبار هامان
وتحسب العين فكيه إذا اختلف ا عند التنغم فكي بغل طحان

هذا الأدب، أدب أهل الدنيا فصاحة وبلاعة.

أدب أهل الدين في رياضة النفوس:

أدب أهل الدين، أدب أهل الدين في رياضات النفوس، وتأديب الجوارح، وحفظ الحدود، وترك الشهوات، أدب أهل الدين من نوع آخر، آداب أهل الدنيا فصاحة وبلاعة.

آداب الخواص من المؤمنين في طهارة القلب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعهود، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور، ومقامات القرب. ومن قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله بإخلاص.

مرة ثانية: الدين عقيدة ، وعبادات، ومعاملات، وآداب، فمن وصل إلى الآداب وصل إلى التفاصيل.
الأدب عند ابن المبارك رحمة الله تعالى كما قال: " معرفة النفس، ومعرفة رعناتها "
أحياناً تحرف النفس، وتتطاول أحياناً، وتستعلي، وتتكبر، وتقول: أنا.
إن تجنب تلك الرعنات هو الأدب.

إن مركز الإنسان إذا كان قوياً لم يعد يُكلم، حجمه المالي كبير، يزور قريبه الساكن في بيت مساحته ٨٠ متراً، فيقول هل: كيف وسرك هذا البيت؟ والله لا يربط فيه، هل من المعقول أن تتكلم هذا الكلام معه؟ بيته هذا هو مستور فيه، لأن مساحة بيته هو ٤٠٠ متر، ما معه ثمن بيتك، دخل بالاستعلاء، فكل إنسان يستعلي يمدح بيته، يمدح مكانته، ويمدح شهاداته يمدح دخله، يمدح مركته، هذا من سوء الأدب، وهذا الإنسان لما يستعلي يغتني، ويقوى، ويأخذ شهادة علياً، أخذ موقع الاستعلاء قال الشاعر:

رقصت الفضيلة تيهًا بفضلها فانكشفت عورتها

لو أن الفضيلة إنسان رقصت تيهًا بفضلها لأنكشفت عورتها، حتى في الحقل الديني، يصلّي قيام الليل يطبل الدنيا به، هناك من يعبد الله وهو ساكت، من دون ضجيج، إذا كان صائماً يقول: سيدى هل أنت صائمون اليوم؟ لا والله، أنا والله صائم الحمد لله، لأنه صائم يريد أن يطبل الدنيا بهذا الصيام.

الأنبياء أكمل الناس أدباً مع الله:

إن الأنبياء أكمل الناس أدباً مع الله:

١ - آدم عليه السلام:

(رَبَّنَا ظلمَنَا أَنْهَسْنَا وَإِنْ لَمْ تَعْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَا مِنَ الْخَارِقِينَ)

(سورة الأعراف)

٢ - إبراهيم عليه السلام:

(الَّذِي خَلَقَنِي فُهُوَ يَهْدِنِي * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِيْنِي * وَإِذَا مَرْضَتُ فُهُوَ يَشْفِيْنِي)

(سورة الشعراء)

٣ - أَيُوب عَلَيْهِ السَّلَام:

(أَلَيْ مَسَنِيَ الضرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)

(سورة الأنبياء)

٤ - يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَام:

(هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايِّي مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي)

يَخَاطِبُ أَخْوَتَهُ:

(وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّجْنِ)

(سورة يوسف الآية: ١٠٠)

وَالْجَبَّ؟ الجب أخطر، السجن الحياة مضمونة فيه، أما الجب ففيه موت محقق، فلم يذكره لئلا يحرجهم، لئلا يحرّر وجوههم، ولم يقل: جاء بكم من مجاعة، لا، قال:

(وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْنُ)

(سورة يوسف الآية: ١٠٠)

لَمْ تَكُونُوا جَائِعِينَ، وَإِخْرَوْهُ يُوسُفَ أَجْرَمُوهُ فِي حَقِّهِ، قَالَ:

(مِنْ بَعْدِ أَنْ تُرْزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي)

(سورة يوسف الآية: ١٠٠)

نَسْبُ الْقَضِيَّةِ لِلشَّيْطَانِ،

(مِنْ بَعْدِ أَنْ تُرْزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي)

هَذَا كُلُّهُ مِنْ أَدْبِ الْأَنْبِيَاءِ.

٥ - الْخَضْرُ عَلَيْهِ السَّلَام:

سَيِّدُنَا الْخَضْرُ:

(فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِبَّهَا)

(سورة الكهف الآية: ٧٩)

(فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشْدَدَهُمَا)

(سورة الكهف الآية: ٨٢)

٦ - مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام:

سَيِّدُنَا مُوسَى لِمَا سَقَى لِلْفَاتَاتِينَ قَالَ:

(فَقَالَ رَبُّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)

(سورة القصص)

٧ - عيسى عليه السلام:

(إِنْ كُنْتُ قَاتِلًا فَقَدْ عَلِمْتَهُ)

(سورة المائدۃ الآیة: ١١٦)

يا رب، وأنا ما قلت، إذا قلت لأحد فأنا فقد علمته،

(إِنْ كُنْتُ قَاتِلًا فَقَدْ عَلِمْتَهُ)

(وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

(سورة المائدۃ الآیة: ١١٨)

أنت يا رب لك القرار، لو قرأتم خطاب الأنبياء الله عز وجل لوجدتم فيه أدباً يفوق حد الخيال.

٧ - النبي عليه الصلاة والسلام:

نبينا عليه الصلاة والسلام:

(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى)

(سورة النجم)

أحياناً يجلس إنسان في بيت عيونه عشرة عشرة على من دخل، ومن خرج، الشهادة، الكتب، وهناك إنسان يجلس بأدب ولا ينظر،

(مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى)

(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)

(سورة النجم)

كان مصدقاً لما رأه من ربه عز وجل، وكان عليه الصلاة والسلام أشد حياءً من العذراء في خدرها، سأله مرة امرأة: كيف تتطهر من العادة، من الحيض، قال لها: تأخذين قرصاً ممسكاً فتطهري بها، يعني قماشة ممسكة معطرة، تطهري بها، قالت: كيف أتطهري بها؟ فامتلاً وجهه دمأً وحياءً وخجلاً، فسحبتها السيدة عائشة، قالت: تعالى تطهري بها، امرأة.

أحياناً تجد على الهاتف سؤالاً من خصوصيات المرأة التي يستحب أن يستمع الإنسان إليها، بكل بساطة، بكل جرأة، يخاطبني رجل، لا يصح أن تحكي له أدق التفاصيل، هناك أشياء نسائية خاصة.

إخواننا الكرام، هناك شطحة من شطحات الصوفيين لكنها لطيفة، قال السري :... صليت وردي ليلة من الليالي، ومددت رجلي في المحراب، فوقع في قلبه: أن يا سري هكذا تجالى الملوك؟ فضممت رجلي، ثم قلت: وعزتك وجلالك لا مددت رجلي أبداً، قال الجنيد: فبقي ستين سنة ما مد

رجله لا ليلاً ولا نهاراً، هذه القصة لها مغزى فقط، حتى لو كنت وحدك فهناك أدب مع الله. هذا الذي اغتسل عرياناً قال له النبي: خذ إجارتك، لا حاجة لنا بك، إني رأيتك لا تستحي من الله، فالتعري بلا سبب، والتبدل بالثياب بالبيت، مع أهله من سوء الأدب.

والله أسمع قصصاً والله لا تصدق، فقد يكن الرجل بالثياب الداخلية طول وقته، مع أمه، وأخته، وعمته، وزوجته، وبناته، هذا من سوء الأدب، فالذي اغتسل عرياناً، ولم يستتر قال له النبي الكريم: خذ إجارتك، أو أجارتكم، لا حاجة لنا بك، إني رأيتك لا تستحي من الله.

الأدب في العمل:

وقيل: "الأدب في العمل علامة قبول هذا العمل".
حتى إذا تصدقت بأدب، حتى إذا نصحت بأدب.

((من أمر بمعرفة فليكن أمره بمعرفة))

[رواه البيهقي عن ابن عمر]

ومن نهى عن منكر فليكن نهيه بلا منكر، بغير منكر.

((الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه))

[أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها]

والحمد لله رب العالمين